٤

أساليب التعبير الفني ودورها في إظهار المعنى

(آيات الغيب إنموذجا)

Methods of Artistic Expression and Their
Role in Expressing Meaning
(The Verses of The Unseen as A Model)

أ. م. د إسراء مؤيد رشيد التميمي
جامعة بغداد-كلية التربية للبنات
قسم علوم القرآن

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على امام المرسلين الصادق الامين، سيدنا محمد وعلى اَله وصحبه أجمعين

أما بعد:

ان القران الكريم هو سر السماء، فهو نور الله تعالى في الارض وأحدى معجزاته الكبرى، التي تنوعت واتسعت فأخذت أنواعا مختلفة من وجوه الاعجاز فكان أهمها اعجازا من حيث أسلوبه ولغته التي فاقت كل لغة وكل اسلوب، فهو معجزة اللغة ذاتها التي ازدادت به رفعة وسموا وهو أصل علومها نشأة وموضوعا كيف لا؟ وكلها صدرت عنه واستقت منه في كشف اسراره وشرح ألفاظه وإظهار معانيه وتفسير أعجازه، ولما كان الغيب وجها اخر من وجوه اعجازه عمدت الى معرفة اعجاز اسلوبه في هذا الموضوع تحديدا، كون الغيب من أدق اسراره واعجبها، وذلك ما للأمور الغيبية من أفانين وصور تعبيرية رائعة لذلك جاء بحثي بعنوان: أساليب التعبير الفني ودورها في اظهار المعنى (آيات الغيب انموذجا) اذ قامت الدراسة على مجموعة أساليب مهمة:

١. أئتلاف اللفظ مع المعنى
٢. التوكيد والتكرار
٣. التقديم والتأخير
٤. الحذف
٥. التناسق الفني والتقابل الدقيق

واخيرا مع خاتمة بينت فيها دور تلك الاساليب في عملية الكشف عن المعاني والاسرار القرآنية في الآيات الغيبية.

ABSTRACT

In The Name of Allah، The Merciful The most gracious

Indeed the Holy Qur'an is the heaven secret. It is Allah's light in this world and one of his great miracles، which is varied and multiplied. These miracles takes many kinds، such as (but not limited)، the high language and the style. So it is the miracle of the language itself which is developed to be more highness.

Because of the unseen is one of the miracle forms، I taken to know the style miracle in this subject، because of the unseen is the most precise of its secrets. So the title of this study was (Artistic Expressions Styles and Its Role to Show the Meaning (The Unseen Ayat as a Sample)). The study was includes some important styles:

١. The combination of the Pronunciation and Meaning.
٢. The Emphasis and Repetition.
٣. The Preceding and Delaying.
٤. The Deleting.
٥. The Artistic consistency and precise comparison.

Finally، in the conclusion I illustrated the role of these styles in the meaning detection process and the Qur'an secrets in the unseen Ayat.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله واصحابه أجمعين.

اما بعد...

تعد الدراسات البلاغية قديماً، وحديثاً، هي موضع اهتمام الكثير من الباحثين لاسيما ما يتعلق ببلاغة القرآن الكريم وأساليبه المتنوعة. فهو معين لا ينضب على الرغم من كثرة الدراسات التي قامت عليه لذلك؛ تنوعت الدراسات واختلفت من باحثٍ الى آخر، كلٌ حسب طريقته في البحث، والتقصي والتعبير فلكلٍ منهم أسلوبه الخاص الذي يتمظهر من خلاله.

ولا يفوتني أن أذكر أن هذا الاختلاف في الدراسة؛ هو الاداة الفاعلة التي احاطت بكنوز القرآن الكريم لاسيما ما يتعلق بأساليبه الفنية، والتعبيرية، التي أثبتت بشكلٍ أو بأخر جمالية نظمه المتفرد والذي أثبت بدوره إعجازه المطلق.

ولما كان الغيب هو وجهٍ مهم من وجوه إعجازه وأدق أسراره وأعجبها، عمدتُ الى معرفة ما للأمور الغيبية التي أودعها اللهُ تعالى في كتابهِ العزيز من صورٍ تعبيريةٍ فنيةٍ جميلةٍ، لإيماننا بأن إعجازه يمكن أن يتجسد فضلاً عما ذكرناهُ مِن خلال تلك الحقائق التعبيرية أذا يمكن للسياق اللغوي أن يكشف تلك الابعاد الجمالية.

وقامت الدراسةُ على مجموعةِ أساليبٍ مهمةٍ:

١. ائتلاف اللفظِ مع المعنى أو ملائمةُ الالفاظِ للمعاني.

٢. التوكيدُ والتكريرُ.

٣. التقديمُ والتأخيرُ.

٤. الحذفُ.

٥. التناسقُ الفنيُ والتقابلُ الدقيقُ.

وأخيراً مع خاتمةٍ بيّنتُ فيها دور تلك الاساليب في عملية الكشف عن المعاني والاسرار القرآنية في الآيات الغيبية.

توطئة:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم كما قال تعالى ((الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١))) (سورة هود: ١)، يختار للمعنى المقصود افضل لفظ يدل عليه وأفصحه على وفق سنن العرب في لغتهم وطرقهم في التأليف والتعبير. يقول الخطابي: «واعلم أن القرآن انما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني»[(١)].

ولما كان في اللغة التي هي كلام البشر لا حروف متآلفة وأخرى متنافرة. وألفاظ واضحة بينة، وأخرى خفية غريبة، وجمل رقيقة خفيفة وأخرى خشنة ثقيلة، فان في القرآن الذي)) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢))) (فصلت: ٤٢) من الحروف والالفاظ والكل ما يتلائم والمعنى

(١) بيان اعجاز القرآن الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) : ٢٤ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن.

الذي تقوم به، وتتطابق معه. والحرف في القرآن متمكن في موضعه من الكلمة، والكلمة مستقرة في مكانها من الآية لا يمكن ابدال هذا او تغيير تلك، اسماً كانت الكلمة او فعلاً، مجموعةً او مفردةً، معرفةً او نكرةً، مكررةً او غير مكررة، مخصصةً او معممةً، مبنية للفاعل او للمفعول... الخ لأنها اختيرت بدقه متناهية لتدل على المعنى الذي وضعت له. وعلى هذا فمعاني القرآن الكريم «يصلحُ أن يُخاطبها الناس كلهم على اختلاف مدراكهم وثقافاتهم وعلى تباعد ازمانهم وبلدانهم... «[1]. بسبب وضوح العلاقة بين الالفاظ ومدلولاتها فيه. وهذا ما سنقف عنده ونبسط فيه القول على صفحات هذه الدراسة من خلال:

١- ائتلاف اللفظ مع المعنى او ملائمة الالفاظ للمعاني.

٢- التوكيد والتكرير.

٣- التقديم والتأخير.

٤- الحذف.

٥- التناسق الفني والتقابل الدقيق.

١) ائتلاف اللفظ مع المعنى:

والمراد به «ان تكون الالفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له، فاذا كان المعنى فخما كان اللفظ الموضوع له جزلا، واذا كان المعنى رقيقا كان اللفظ رقيقا، فيطابقه في كل احواله»[2]. ذلك لان اللفظ دليل على المعنى[3]، والمعنى «علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول»[4].

فلاضطراب الأرض يوم القيامة، وتفتت الجبال، الفاظ تصور هذه الحال بما تحمله من معاني القوة، ودلالة الرعب كما في قوله تعالى: ((فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) ١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦))) (الحاقة: ١٣ ـ ١٦)

فحمل الارض معناه: رفعها من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال، ويضرب بعضها ببعض حتى تندق، وترجع كثيباً، وهباءً منبثاً والدّك ابلغ من الدق[5].

والدوران السريع للسماء، وتحركها واضطرابها بشدة، من هول ذلك اليوم انذاراً واعلاماً بان لا رجوع ولا عودةً الى الدنيا، ويُعَبَّرُ عنه بلفظة غاية في الدقة، بما يُصَوِّرُ المعنى ابلغ تصوير، هي (تمور) في قوله تعالى ((يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩))) (سورة الطور: ٩) أي تتحرك بسرعة جيئة وذهابا وتموج موجا سريعا. قال الراغب: « المور: الجريان السريع، يقال: ما يمور مورا « [6] واذا علمنا ان (الصخ) هو الصوت الشديد الذي يَصُمُّ الاذان نقول: صَخّ الصوت الاذن يصخّها

(١) احسن الحديث: د. محمد سعيد رمضان السيوطي: ١٠١.

(٢) الطراز: ٣/ ١٤٤- ١٤٥، وينظر: من اسرار البلاغة شيخون، محمود السيد: ١٢٩- ١٣٠.

(٣) ينظر: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣٦٩.

(٤) دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان: ٧٢.

(٥) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٤/ ٦٠١.

(٦) ينظر: الصحاح، اساس البلاغة: (صخخ).

صخاً، وصخّه يصخُّه: ضرب اذُنَه فأصمها [1] ادركنا سر التعبير عن يوم القيامة العظيم بلفظ (الصاخة) في قوله تعالى ((فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧))) (سورة عبس: ٣٣ –٣٧)، فهي تصخ الاذان وتصمها بما حدث فيها من اصوات مفزعة هي اشد من كونها صراخاً، عُبر عنها بهذا الكلمة العجيبة في وقعها [2].

واذا كان ليوم القيامة واهواله الالفاظ الدالة عليه، فإن للنار وسعيرها الفاظا غريبة جزلة تدل على معاني الوعيد، والزجر، والتهديد، وانزال العذاب، وما الى ذلك فالألفاظ (يصلى ويصلاها ويصلون، ويصلونها واصلوها، وسأصليه ونصليه، وصالوا وصليا... الخ) [3] في قوله تعالى)) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) ٣))) (المسد: ٣ (، وفي سورة (الاسراء) ((مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨))))، وقوله تعالى ((وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) (((الانفطار: ١٤)، وقوله تعالى ((سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦))) (المدثر: ٢٦)، و(سورة مريم) ((ثمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠)))؛ بحد ذاتها تعبير عن مقاساة الحرِّ، لان اصل الصلي لإيقاد النار، ويقال: صلي بالنار أي: بلي بها واصطلي بها، وصليتُ الشاة: شويتها وهي مصلية [4] فكيف اذا كانت هذه النار جهنم وسقر التي تلوح المعذب بها وتذيبه و» لا تبقى شيئا يُلْقَى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يُعاد « [5]. وفي عدد من هذه الآيات وعيد يحمله الحرفان (السين وسوف) أي أنه « كائن لا محالة وان تراخى وقته « [6]. ولفظة (داخرين) التي تعني: اذلاء صاغرين ليس لها بديل يحمل المعنى نفسه بالنسبة الى المتكبرين عن عبادة الله وعن دعائه في قوله تعالى ((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠))) (غافر: ٦٠)، يقال: ادخرته فدخر، أي: «اذلته فذل» [7]؛ولما كانت لفظة (الغلّ) مختصة بما يقيد به فيجعل الاعضاء وسطهُ [8] جاء قوله تعالى ((خذوه فغلّوه)) (الحاقة: ٣٠) غاية في التعبير عن هذا المعنى، قال القرطبي: «فيبتدره مائة الف ملك ثم تجمع يداه الى عنقه، فذلك قوله تعالى فغلوه» [9]

ونجد للجنة ونعيمها الفاظا رقيقة عذبة تدل على معاني الوعد والبشارة والامل ((مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥))﴾

(١) ينظر: الصحاح، اساس البلاغة: (صخخ).
(٢) ينظر: تفسير جزء عم، محمد عبده: ١٩.
(٣) ينظر: المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي: ٤١٤.
(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٢٨٥.
(٥) الكشاف: ٤/ ٦٥٠، وينظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٣٠/ ٢١٢.
(٦) الكشاف: ٤/ ٨١٥.
(٧) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٦٦.
(٨) م. ن: ٣٦٣.
(٩) الجامع لاحكام القرآن، القرطبي: ١٨/ ٢٧٢.

(الرعد: ٣٥)، اي صفتها التي هي في غرابة المثل لكونها عجيبة الشأن، تجري من تحت قصورها الانهار، وثمرها دائم لا ينقطع وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس [١].

وفي قوله تعالى ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمةٌ (٨) لسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦))) (الغاشية: ٨-١٦) الفاظ في غاية الرقة والحسن دالة على البهجة والاشراق والنضارة والرضا والاطمئنان والمكانة الرقيقة، والقدر العالي، والتنزه عن سماع الاذى والباطل فضلا عما عُبِّرَ به عن منتهى النعيم وغاية السعادة.

وهكذا يتجلى الائتلاف بين اللفظ، والمعنى في القرآن الكريم من خلال ما عرضنا من امثلة تخص آيات الغيب، فالالفاظ موظفة لتأدية المعاني «وايصالها الى القلوب بأحسن صورة واجل معنى» [٢]. وكل كلمة في مكانها الذي لو زحزحت عنه او ابدل غيرها بها لاختل البناء واضطرب المعنى، يقول د. مصطفى محمود: «ما وقفت امام كلمة قرآنية وحاولت ان تنقلها من مكانها او تستبدلها حتى ادركت الاستحالة، وحتى ادركت انك امام طراز زمن الضرورات اللغوية والعلمية يُثيرُ الذهول، وانك امام لون من الوان الصدق المطلق» [٣] وغير هذه الآيات كثير.

التوكيد والتكرير

التوكيد:

مصدر وكَّدَ يوكِّدُ، والاصل فيه الشَّدُّ والإحكام[٤]. يقال: وكدّ العقد والعهد توكيدا، اوثَقَهُ. قال الصاغاني: «.. وجدوى التوكيد انك اذا كررت فقد قررت المؤكَّدَ وما علق به في نفس السامع ومكّنته في قلبه وامطت شبهة ربما خالجته، او توهمت غفلة وذهابا عما انت بصدده فأزلته» [٥].

ويمكن ان نفهم من هذا ان الغاية من التوكيد؛ تتجلى في؛ بيان حقيقة من الحقائق وتثبيت معنى من المعاني بإخراجه في صور بيانية متعددة على وفق اساليب قائمة على اتساع اللغة وتعدد طرق الاداء فيها.

والالفاظ المؤكّدة يُؤتى بها بحسب الحاجة اليها، ولما كان اللفظ صورة للمعنى؛ فإن كل زيادة فيه توكيدا او تكريرا تتبعها زيادة في المعنى، والقرآن الكريم «في غاية الدقة في اختيار الالفاظ المؤكدة في وضعها المناسب بحسب طريقة فنية متقنة» [٦].

وقد استخدم التوكيد في القرآن «وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، واقراره في افئدتهم حتى

(١) ينظر: الكشاف: ٢/ ٥٣٢- ٥٣٣.

(٢) النكت في اعجاز القرآن، الرماني: ٦٩.

(٣) القرآن محاولة لفهم عصري: ٢٧٧.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٦/ ١٣٨.

(٥) نقلا عن تاج العروس، الزبيدي (وكد) وينظر: التكملة والذيل والصلة، اللسان، القاموس (وكد).

(٦) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ١١٥.

يصبح عقيدة من عقائدهم، كما استخدمه ايضا لإسرار بلاغية ولطائف ادبية لا يتم المعنى المقصود الا بها»[1].

ونحن نعلم ان آيات القرآن ايمان، وتوحيد، ووعد، ووعيد، واحكام، واخبار، وقصص.. وهذه كلها امور؛ تحتاج الى ما يجعلها تستقر في القلوب وتثبت في النفوس لينبثق منها العمل الصالح المبني على اساس من الايمان، لذا نجد في الآيات الدالة على الغيب توكيدا لصفات الله عز وجل كما نجد توكيدا لوعده ووعيده ولكثير من اخبار الأمم الماضية، والانبياء، والمرسلين، ولما سيحدث يوم القيامة، ولما يسبقه من احداث وما الى ذلك بأساليب التوكيد المختلفة المتنوعة التي سنقف عند آيات منها:

فمن الآيات التي تؤكد صفات الله تعالى بحرف التوكيد (إنَّ) الذي ينصب المبتدأ، ويرفع الخبر ويكون معناه التوكيد[2] قوله تعالى ((لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢))) (الشورى: ١٢)، وقوله عز وجل في شأن المنافقين الذين نقضوا العهود واعرضوا عن طاعة الله ورسوله وكذبهم في دعوى الايمان والاحسان ((أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨))) (التوبة: ٧٨).

وقوله تعالى مؤكدا تفرده بعلم مفاتح الغيب الخمس[3] دون سواه ((إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤))) (لقمان: ٣٤).

وقد تؤكد بعض الصفات عبر (ان ولفظ آخر من الفاظ التوكيد) زيادة في تثبيت الصفة واسنادها الى الله سبحانه وتعالى كـ (لام الابتداء) نحو قوله تعالى ((إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢))) (ال عمران: ٢٦) مؤكدا ان خلق عيسى (عليه السلام) كخلق آدم، أي انه خلق عيسى من تراب؛ ولم يكن ثمة أب كما خلق آدم من تراب؛ ولم يكن ثمة أب ولا أم؛ ردّا على النصارى في تثليثهم ووعيدا لهم بالعذاب[4].

فـلام الابتداء أكدت مضمون جملتي خبر (إنَّ) في الموضعين ((لهو القصص الحق)) و((لهو العزيز الحكيم)) ونحو قوله تعالى ((إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩))) (غافر: ٥٩) مؤكدا حتمية قيام الساعة نافيا الشك في ذلك، فأكد خبر إنَّ (آتية) بلام الابتداء.

وهكذا نجد إن التوكيد في هذه الآيات قد قرر معاني صفات الله تعالى في النفوس تثبيتا للإيمان به عز وجل.

(١) من اسرار البلاغة: ٧٩.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٣٤٦، مغني اللبيب: ابن هشام: ٥٥.

(٣) روى البخاري في صحيحه، محمد بن اسماعيل ٦/ ١٤٤ ان النبي (ﷺ) قال: مفاتح الغيب الخمس ثم قرأ ((ان الله عنده علم الساعة....)).

(٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٧٠.

هذا فضلا عن توكيد اخبار وصفات تتعلق باقوام سابقين نحو قوله تعالى عن فرعون الجبار وما فعله بالمؤمنين ((قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هُذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤))) (الاعراف: ١٢٣-١٢٤).

وكثرة المؤكدات في هاتين الآيتين دليل على مدى حقد فرعون على المؤمنين من السحرة الذين اتبعوا موسى، وهارون (عليهما السلام) كما تدل على غاية عزمه على بلوغ وعيده وتنفيذ تهديدهُ إياهم.

كما في قوله تعالى عن قوم لوط ((وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤))) (الانبياء: ٧٤)، ومثل ذلك قوله عن قوم نوح ((فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤))) (الاعراف: ٦٤) وقوله تعالى ((وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١)) (العنكبوت: ٣١)

ومن الآيات التي جاء التوكيد فيها بضمير الفصل، او ضمير الشأن الذي «يفيد تأكيد الحكم فيه من زيادة الربط» (١) قوله تعالى في وعده للمؤمنين والمؤمنات ((وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢))) (التوبة: ٧٢) وقوله تعالى في اخباره عن عاد وثمود وقوم نوح ((وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١))) (النجم: ٥٠-٥١)

ومن التوكيد بلفظ (جميع) للدلالة على الاحاطة، والشمول قوله تعالى ((إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣))) (يس: ٥٣).

ومن التوكيد بالمصدر قوله تعالى ((يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣ ())) (الطور: ١٣) فقد اكد الفعل (يدعون) بمصدره (دَعًّا) ومثله قوله تعالى في السورة نفسها ((إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠))) وقوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣))) (مريم: ٨٣)، (مورا) و(ميرا) و(ازا) كلها مصادر اكدت افعالها (تمور)، (وتسير)، (تؤزُّ).

واما التكرار او التكرير كالتوكيد من حيث الفائدة قيل «إن التكرار هو التجديد للفظ الاول ويفيد ضربا من التأكيد».

ومما ورد منه في آيات الغيب للدلالة على الوعيد والتهديد قوله تعالى ((الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣))) (الحاقة: ١-٣)، فالحاقة اسم للقيامة وسميت بذلك لتحقيق وقوعها، فهي حق قاطع وأمر واقع لا ريب فيه ولا شك ولا جدال، وجاء التكرار تفخيماً لشأنها وتعظيما لهولها، وما

(١) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: ١/ ١٢٧.

اعلمك يا محمد ما القيامة؟ انك لا علم لك بكنهها، ومدى عظمها، فإنها من العِظم والشدة بحيث لا يُحيط بها وصف ولا خيال (١).

ومثل ذلك قوله تعالى ((الْقَارِعَةُ (١ (مَا الْقَارِعَةُ (٢))) (القارعة) قال ابو السعود: «سميت القيامة قارعة لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال... ووضع الظاهر موضع الضمير تأكيد للتهويل وقوله وما ادراك ما القارعة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى انه عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد» (٢) ويعد من هذا ايضا قوله تعالى ((كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢))) (الفجر).

«والكبُّ اسقاط الشيء على وجهه»(٣)، «والكبكبة تدهور الشيء في هُوّةٍ»(٤) فهي تكرير للكب في قوله تعالى ((فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥))) (الشعراء: ٩٥) في شأن المجرمين الذي برزت امامهم جهنم واظهرت «فكبكبوا... الخ»، «فجعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها « (٥).

ولذا قيل في معناها ايضا: «دُهورُوا، ورمي بعضهم على بعض، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم» (٦) وقال ابن الاثير: «معنى كبكبوا من الكب، وهو القلب، الا انه مكرر المعنى، وانما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب، لأنه موضع يقتضي ذلك» (٧).

التقديم والتأخير:

من الخصائص التعبيرية، والاساليب البيانية في عدد من آيات الغيب تقديم بعض الالفاظ على بعض فيها، او تأخير بعضها عن بعض، وهذا احد اساليب البلاغة، كما يقول الزركشي، «يدل على التمكن في الفصاحة، والملكة في الكلام، وله في القلوب موقع حسن ومذاق عذب»(٨) والقرآن الكريم «قد بلغ في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب» (٩).

فقد يكون في تأخير لفظة ما في سياق آية من الآيات اخلال ببيان المعنى فتقدم تلك اللفظة لما يقتضيه المقام وسياق القول، وذلك مما يختص بدلالة الالفاظ على المعاني فيكون التقديم ابلغ كما في قوله تعالى ((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ

(١) ينظر: الكشاف: ٤/ ٥٩٨، تفسير ابي السعود: ٥/ ٧٥- ٧٦، تفسير جزء تبارك، عبد القادر المغربي: ٣١- ٣٢.
(٢) تفسير ابي السعود: ٥/ ٨٩٨، وينظر: تفسير جزء عم: ١١٠.
(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤٢٠.
(٤) م. ن.
(٥) الكشاف: ٣/ ٣٢٢.
(٦) ينظر: جامع البيان في تاويل القرآن، الطبري: ١٩/ ٥٥.
(٧) المثل السائر، ابن الاثير: ٢/ ٢٥٢.
(٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٣/ ٢٣٣.
(٩) التعبير القرآني: ٥١.

أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨))) (غافر: ٢٨) «واصل الكلام عند من جعل الرجل المؤمن قبطيا من آل فرعون له وجاهة عند فرعون لانه ابن عمه فلم يتعرض له بسوء» [١]، رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون [٢] فـ (من آل فرعون) صفة رجل مؤمن، ولو فصلت هذه الصفة عن الموصوف بـ (يكتم ايمانه) لما فهم ان الرجل المؤمن من آل فرعون [٣]، ولكان المقصود ان الرجل المؤمن من بني اسرائيل يكتم ايمانه من آل فرعون، وفي ذلك بعد من وجهين الاول: لانه يقال كتمه امر كذا ولا يقال كتم منه، والثاني: ما كان فرعون يحتمل من بني اسرائيل ان يقول احدهم له : اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله.. وينصح موسى بأن يخرج من مصر [٤].

وقد يكون التقديم لغرض الاختصاص، كما في تقديم الخبر، والظرف، والجار، والمجرور فمن تقديم الخبر على لسان والد ابراهيم (عليه السلام) ((قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦))) (مريم: ٤٦)، فقدم الخبر ((اراغب)) على رأي البلاغين [٥] على المبتدأ (انت) لانه» كان اهم عنده، وهو به شديد العناية» [٦]، قال الزمخشري: « وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته؟ وان آلهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد « [٧]، ولو قال: (أأنت راغب عنها) ما افادت زيادة الانكار على ابراهيم [٨] ومنه قوله تعالى ((وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هُذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧))) (الانبياء: ٩٧)، فقدم الخبر (شاخصة) على المبتدأ (اصار).

ومن تقديم الظرف، وهو خبر، قوله تعالى: ((وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩))) (الانعام: ٥٩)، قيل فيها « وقدم الظرف (عنده) الذي هو الخبر، على المبتدأ (مفاتح الغيب) وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب، الا

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٣٠٦ و١٣/ ٢٦٦ في تفسير قوله تعالى يس: ٢٠ ((وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى)) ونص على ان اكثر اهل التفسير ذهبوا الى ان هذا الرجل هو حزقيل بن صبورا مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون.

(٢) ينظر: الكشاف: ٤/ ١٦٢. الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٣٠٦.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٣٣.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٣٠٧.

(٥) خلافا للنحاة اذ يرون في هذه الاية ان ((اراغب)) وكذلك كل وصف اذا تطابق مع فاعله افرادا او تثنية او جمعا جاز فيه وجهان: احدهما ان يكون الوصف، اسم الفاعل (اراغب) مبتدأ وما بعده فاعل اسم الفاعل سد مسد خبرا لمبتدأ، والثاني ان يكون الوصف خبرا مقدما وما بعده مبتدأ مؤخرا، ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ١٩٧- ١٩٨.

(٦) المثل السائر: ٢/ ٢٢٢.

(٧) الكشاف: ٣/ ٢٠، وينظر: المثل السائر: ٢/ ٢٢٢.

(٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٧٦.

ترى كيف اكد ذلك الاختصاص باسلوب آخر هو اسلوب القصر فقال (لا يعلمها الا هو) « [1] ومثل ذلك قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤))) (لقمان: ٣٤)، فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ لاختصاص الله تعالى بعلمه.

ويُعَدُّ الاختصاص ايضا من اهم اغراض تقديم الجار والمجرور كما في قوله تعالى: ((يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (التغابن: ١)، ففي تقديم الجار والمجرور (له) على (الملك) وعلى (الحمد) افادة حصر الملك والحمد فيه سبحانه، ودلالة على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل، وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء، ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه، وكذلك الحمد لان اصول النعم وفروعها منه.... [2]، وهذا يعني ان التقديم ادى معنى لا يتأذى بدونه فـ» لو قال: الملك له لكان اخبارا بأن الملك له دون نفيه عن غيره، فتقديم الظرف افاد حصره عليه واختصاصه به دون غيره « [3].

وقد يكون التقديم بحسب السبق في الزمن كالذي يلحظ في الآيات التي تتحدث عن الانبياء والمرسلين فانهم يذكرون فيها مرتين بتقديم بعضهم على بعض بسبق زمنه، كما في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)) (آل عمران: ٣٣)، فَقُدِّم آدم عليه السلام، ابو البشر، ثم نوح لأنه اول رسول بعثه الله الى اهل الأرض بعد آدم، ثم آل ابراهيم وآل عمران، ذرية متسلسلة بعضها متشعب من بعض [4].

وقوله تعالى: ((وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ (٤٨))) (سورة ص: ٤٥-٤٨).

وقد يكون التقديم بحسب شرف المعلوم، فالعلم بالغيب المجهول اشرف من العلم بالمشاهد المعلوم، والعلم بالسر الخفي اشرف من العلم بالجهر المعلن ولذا نجد آيات تتقدم فيها الالفاظ الدالة على شرف العلم بالغيب والسر على غيرها من الالفاظ الدالة على المشاهدة والجهر والعلن، نحو قوله تعالى: ((الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)) (المؤمنون: ٩٢)، وقوله: ((وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)) (الانعام: ٣)،

(١) التعبير القرآني: ٤٩.

(٢) الكشاف: ٤/ ٥٤٥، وينظر: المثل السائر: ٢/ ٢٢٤.

(٣) معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١/ ١٦٦، ومنه ايضا قوله تعالى ((هود: ١٢٣)) ((ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب....)) ((هود: ١٢٣)) وقوله تعالى (القيامة: ٢٢- ٢٣) في صفة وجوه اهل الجنة ((وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)).

(٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٥٤- ٣٥٥، الجامع لاحكام القرآن: ٤/ ٦٢- ٦٣.

وقوله تعالى ((فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعلى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩))) (النمل: ١٩).

وقد يكون التقديم بحسب ما يثيره المقدم من دلالة على القدرة وتعجيب شأن ،كما في قوله تعالى ((فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩))) (الانبياء: ٧٩) قال الزمخشري: « فان قلت: لم قدمت الجبال على الطير، قلت: لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز، لانها جماد والطير حيوان، الا انه غير ناطق، روى انه (اي داود) كان يمر بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه، وقيل كانت تسير معه حيث سار»[١].

وقد يكون التقديم بحسب الفضل والشرف كما في قوله تعالى (((وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧ ())) (الاحزاب: ٧) فبدأ بالرسول وقدمه لشرفه وبيانا لعظم مكانته وتكريما لشأنه، ثم رتبهم بحسب وجودهم في الزمان، ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه[٢].

وقد يكون التقديم للاحتفاظ بالموسيقى في الآية ورعاية للفواصل وزيادة للتناسق اللفظي وحسن الجرس وجمال الصياغة فنيا، فضلا عن الاختصاص او القصر والحصر والتشويق والعناية بالمعنى، كما في قوله تعالى ((وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠))) (القيامة: ٢٩-٣٠)، فقدم (الى ربك) وآخّر (المساق) مراعاة لحسن النظم وحلاوة النعم فضلا عن الاختصاص، اذ المساق الى الله وحده لا الى ذات اخرى[٣]

وهكذا يبدو لنا القرآن الكريم في ترتيب الفاظه ووصف كلماته وتقديم بعضها على بعض لمقاصد شريفة ومعان جليلة واغراض نبيلة تدل على «فخامة التعبير القرآني وعلوه، وان مثل هذا النظم لا يمكن ان يكون في طوق بشر فسبحان الله رب العالمين»[٤]

الايجاز بالحذف:

عّبر اهل البلاغة عن الايجاز بأنه: «البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الالفاظ»[٥]، و«الاتيان بكلام قليل ذي معان جمة »[٦]، و«اداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الاوساط»[٧]،«كون اللفظ

(١) الكشاف: ٣/ ١٢٩، وينظر: الجامع لاحكام القرآن: ١١/ ٣١٩- ٣٢٠ وفيه ((وكان داود اذا وجد فترة امر الجبال فسبحت حتى يشتاق ولهذا قال ((وسخرنا)) اي جعلناها بحيث تطيعه اذا امرها بالتسبيح)).

(٢) ينظر: الكشاف: ٣/ ٥٢٥، تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٣/ ٤٦٩.

(٣) ينظر: المثل السائر: ٢/ ٢٢٥.

(٤) التعبير القرآني: ٧١.

(٥) النكت في اعجاز القرآن: ٧٤، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن.

(٦) الاتقان في علوم القرآن: ٣/ ١٦٩.

(٧) مفتاح العلوم السكاكي: ٤٩٣.

بالنسبة الى المعنى اقل من القدر المعهود عادة» [١]، و»اظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير» [٢]، و»تقليل الكلام من غير اخلال بالمعنى، وهو (اي الايجاز) على وجهين: حذف وقصر، فالحذف: اسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال او فحوى الكلام، والقصر: بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف « [٣].

وعرف ابن الاثير الايجاز بالحذف بقوله: « وهو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون الا فيما زاد معناه على لفظه» [٤]، واكد اهمية الحذف عبد القاهر الجرجاني فقال: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الامر، شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر، والصمت عن الافادة ازيد للفائدة وتجدك انطق ما تكون اذا لم تنطق، واتم ما تكون بيانا اذا لم تُبِن»[٥]؛ ولذا قال الرماني: «واذا عرفت الايجاز ومراتبه، وتأملت ما جاء في القرآن منه، عرفت فضيلته على سائر الكلام وهو علوه على غيره من سائر الكلام، وعلوه على غيره من انواع البيان... « [٦].

لذا كانت «العرب تستعمل الحذف للإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول اذا كان المخاطب عالما بمرادها فيه»[٧]، وقد حذفت الجملة والمفردة والحرف والحركة، على نحو ما يقول ابن جني[٨]، والقرآن انما جاء على سنن العرب في كلامهم فقد كثر الايجاز فيه ليكون احدى خصائص تعبيراته وسمة بارزة من سمات بلاغته المعجزة. ولآيات الغيب نصيب من هذه الخصائص وتلك السمة سنبسط القول في عدد مختار منها:

فمن حذف الجملة في آيات الغيب في قوله تعالى ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)﴾ (البقرة: ٦٠)، فالفاء في (فانفجرت) متعلقة بمحذوف تقديره: فضرب فانفجرت منه، «فاكتفى بالسبب، الذي هو الانفجار عن السبب: الذي هو الضرب» [٩]، قال الزمخشري: «وهي، (اي الفاء) على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ»[١٠].

(١) الاتقان: ٣/ ١٦٣.

(٢) النكت في اعجاز القرآن: ٧٤، وينظر: بديع القرآن: ١٨٠، الفوائد، ابن القيم الجوزية: ٧١، البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٥.

(٣) النكت في اعجاز القرآن: ٧٠.

(٤) المثل السائر: ٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

(٥) دلائل الاعجاز: ١٦٢، وينظر نص هذا الكلام في: المثل السائر: ٢/ ٢٧٩.

(٦) النكت في اعجاز القرآن: ٧٣ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن.

(٧) البرهان في وجوه البيان ابن وهب: ١٥٠.

(٨) ينظر: الخصائص، ابن جني: ٢/ ٣٦٢.

(٩) المثل السائر: ٢/ ٢٨٧، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٤١٩.

(١٠) الكشاف: ١/ ١٤٤، وينظر: الخصائص: ٢/ ٢٦٣، ٤٦٢.

ولما كان الجواب في صفة ثواب اهل الجنة، وثوابهم فيه من التفخيم والاعظام، مالا يحيط به وصف، حذفه « اذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناها، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شأنه ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك، لقوله عليه الصلاة والسلام: ((لا عين رأت واذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))»[1]، قال سيبويه: «سألت الخليل عن قوله جل ذكره: ((حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها...)) اين جوابها؟... فقال: ان العرب قد تترك في مثل هذا الخبر (الجواب) في كلامهم، لعلم المخبر لاي شيء وضع هذا الكلام»[2] كأنه قيل «ولما دخلوها حصلوا على النعيم المقيم الذي لا انقطاع له ولا تكدير فيه»[3] وقيل: «انما صار الحذف في مثل هذا ابلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان»[4].

ومن حذف جواب (لو) قوله تعالى في ذكر احوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه الى معرفة الحق ((وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ٥١)) (سبأ: ٥١)؛ فجواب لو محذوف، والمعنى: ولو ترى اذ فزعوا في القبور من الصيحة او اذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة، لرأيت امراً عظيما وحالات هائلة، ولرأيت ما يعتبر به عبرة شديدة، فلا نجاة لهم ولا مهرب[5].

ومن حذف المبتدأ قوله تعالى في صفة جهنم ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ١٠ (نَارٌ حَامِيَةٌ)) ((القارعة: ١٠-١١ (.

باضمار مبتدأ اي: هي نار حامية فـ(نار) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) وحامية صفة النار، والتقدير هي نار حامية [6]، «وتأمل الفرق بين هذا الاسلوب الموجز وبين ان يقال: وما ادراك ما هية هي نار حامية، من الاسراع الى ذكر النار بعد ان أثار الشوق بالسؤال عنها»[7].

ومن حذف الصفة قوله تعالى ((أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩))) (الكهف: ٧٩)، فحذف صفة سفينة (صحيحة) او (صالحة)، اي كان يأخذ كل سفينة صحيحة او صالحة غصبا بدليل ان قراءة عثمان بن عفان وقراءة ابن عباس ايضا وابن مسعود وابي بن كعب وابن جبير (رضي الله عنهم) «كل سفينة صالحة»[8]، ويدل على الصفة

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٦، وينظر: الكشاف: ٤/ ١٤٧.
(٢) الكتاب: ٣/ ١٠٣.
(٣) بيان اعجاز القرآن: ٤٧ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن.
(٤) النكت في اعجاز القرآن: ٧٠- ٧١ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن.
(٥) ينظر: اعراب القرآن: ٢/ ٦٨١، الكشاف: ٣/ ٥٩٢، المثل السائر: ٢/ ٣٢٢ الجامع لاحكام القرآن: ١٤/ ٣١٤.
(٦) ينظر: اعراب القرآن: ٣/ ٧٦٠، اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه: ١٦٤.
(٧) من اسرار البلاغة: ٣٥.
(٨) ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٤/ ٧.

المحذوفة قوله ((فاردت ان اعيبها)) « فان عيبه اياها لم يخرجها، عن كونها سفينة، وانما المأخوذ هو الصحيح دون المعيب فحذفت الصفة ها هنا لأنه تقدمها ما يدل عليها»[١].

ومن حذف الموصوف قوله تعالى في خطابه لداود (عليه السلام) (سبأ: ١١) ((ان اعمل سابغات)) اي: دروعا سابغات كوامل تامات واسعات [٢]، فحذف الموصوف (الدروع) وابقى صفتها (الواسعة الضافية) دليلا عليه [٣].

وهكذا يبدو لنا الايجاز القرآني بأنه ايضاح للمعاني باقل ما يمكن من الالفاظ وتبدو الآيات الموجزة بما تدل عليه من معان كثيرة غاية في البلاغة وصلت الى درجة الاعجاز.

التناسق الفني والتقابل الدقيق:

لا شك ابدا في ان التناسق بكل الوانه واشكاله، سواء اكان ايقاعيا او تقابليا او سياقيا، وسواء اكان قائما على الالفاظ او المعاني او الفواصل او المشاهد او على انغام العبارات او جرس الكلمات، يعد سرا من اسرار الاعجاز في تعبير القرآن الكريم « حيثما شاء ان يعبر عن معنى مجرد، او حالة نفسية او صفة معنوية، او نموذج انساني، او حادثة واقعة ماضية، او مشهد من مشاهد القيامة، او حالة من حالات النعيم والعذاب، او حيثما اراد ان يضرب مثلا في جدل او محاجةٍ، بل حيثما اراد هذا الجدل اطلاقا، واعتمد فيه على الواقع المحسوس والمتخيل المنظور»[٤] في كل ما عرضنا من خصائص تعبيرية في آيات الغيب وغيرها فنلحظ مثلا ذلك الايقاع الصوتي الذي تميز به النظم البديع للقرآن، الذي حين يسمعه السامع فأنه « انما يسمع ضربا خالصا من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على اجزاء النفس مقطعا مقطعا ونبرة نبرة كانها توقعه توقيعا، ولا تتلوه تلاوة »[٥].

وهذا كله ناتج، في الحقيقة، من « ذلك التنسيق في تأليف العبارات، بتخير الالفاظ، ثم نظمها في نسق خاص يبلغ في الفصاحة ارقى درجاتها »[٦].

ونجد في المشهد الذي يرسمه قوله تعالى ((يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤))) (الطور: ٩- ١٤) اتساق جزيئاته ايقاعا وجرسا ولفظا ومعنى مع السياق الذي يعرض فيه. فلفظة (الدع)

(١) المثل السائر: ٢/ ٣١٥- ٣١٦، وينظر: الكشاف: ٢/ ٧٤١، الجامع لاحكام القرآن: ١١/ ٣٤، البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٥٦.

(٢) ينظر: الجامع لاحكام القرآن: ١٤/ ٢٦٧، والبرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٥٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ٣/ ٥٧١.

(٤) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ٣٥.

(٥) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ٢١٢- ٢١٣.

(٦) التصوير الفني: ٧٤.

التي تعني: الدفع العنيف[1] او الدفع بشدة وعنف، تصور معناها بما فيها من جرس «وذلك ان خزنة النار يغلقون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم «[2]، وهكذا نرى المشهد يمثل»حملة عميقة التأثير في القلب البشري... ويشترك فيها اللفظ والعبارة والمعنى والمدلول، والصور والظلال، والايقاعات الموسيقية لمقاطع السورة وفواصلها على السواء....»[3].

وجاء في قوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦ (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) ٩ (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) ١٠ (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) ١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) ١٢) (((الفجر: ٦-٢١).

«اشارات سريعة لمصارع الغابرين المتجبرين، وايقاعها بين ايقاع القصص الرخي وايقاع المصرع القوي»[4]، وهذان الايقاعان متأتيان على السواء من هذه الفواصل التي ذهب كثير من النقاد الى انها من قبيل السجع[5] «ولا فرق بين الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع»[6] ونكاد نسمع من لفظ (كبكبوا) في قوله تعالى (الشعراء: ٩٤) في شأن اصحاب الجحيم ((فكبكبوا هم والغاوون) نكاد «نسمع عن جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفتهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف. فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه»[7] وكأن هذه اللفظة كما يقول الرافعي انما خلقت لذلك المعنى خلقا وافرغت عليه افراغا حتى لا يناسبه غيرها[8].

وللفواصل دور كبير في التناسق الايقاعي، لانها في الاى، كما يقول عبد القاهر الجرجاني: «كالقوافي في الشعر»[9] بما تثير من ايقاع موسيقي «يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة اساسية في البيان»[10] بمعنى انها تزيد المعاني التي تتضمنها الآيات وضوحا وبيانا، وعلى هذا فالصلة وثيقة جدا بين فواصل الآيات ومعانيها في القرآن، يقول الباقلاني: «واما الفواصل فهي حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها افهام المعاني،

(١) تاج العروس (د عع)، يقال (دععته ادعه، اي: دفعته، فالدال والعين اصل يدل على حركة ودفع واضطراب، ينظر: الصحاح (دعع) ومقاييس اللغة: ٢/ ٢٥٧.

(٢) الكشاف: ٤/ ٤٠٩، وينظر: البحر المحيط: ٨/ ١٤٧.

(٣) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٣٩١.

(٤) م. ن: ٦/ ٣٩٠٢.

(٥) من الذين يرون ورود السجع في القرآن ابن سنان في سر الفصاحة، وابن الاثير في المثل السائر، ويحيى بن حمزة العلوى في الطراز وممن نفى ان يكون في القرآن سجع وحكم بان في القرآن فواصل ليست من السجع، الرماني في النكت في اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل والباقلاني في اعجاز القرآن.

(٦) سر الفصاحة، ابن سنان: ١٦٧.

(٧) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٦٠٥.

(٨) ينظر: اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٨٨.

(٩) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٣٥٥.

(١٠) التصوير الفني: ٨٦.

وفيها بلاغة» [1]، ويقول الرماني: «وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لانها طريق الى افهام المعاني التي يحتاج اليها في احسن صورة يدل عليها.... » [2].

والآيات التي تؤدي فيها الفواصل وظيفة الايقاع الموسيقي كما تؤديه القوافي في الشعر كثيرة لا تكاد سورة من سور القرآن تخلو منها فضلا عن تعددها في كثير من السور وهذا ما دفع بعض الباحثين الى القول: «ان فواصل القرآن ومقاطعه انما هي من ابرز مصادر الموسيقى وابلغها اعجازا موسيقيا » [3].

ونلمس مثل هذه السرعة مع العنف والاثارة في ايقاع فواصل آيات سورة العاديات ولا سيما في قوله تعالى ((أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١))) (العاديات: ٩ ‖ ١١)، ففي الآيات ايقاع موسيقي «فيه خشونة، ودمدمة وقرقعة، تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنشئه القبور المبعثرة والصدور المحصل ما فيها بشدة وقوة.. وهو مشهد عنيف مثير، (بعثره) بهذا اللفظ العنيف المثير... تحصيل بهذا اللفظ العنيف القاسي فالجو كله عنف وشدة وتعفير، ويختم هذه الحركات الثائرة باستقرار ينتهي اليه كل شيء، وكل امر، وكل مصير، ان ربهم بهم يومئذ لخبير، ان السورة مشوار واحد لاهث صاخب ثائر... حتى ينتهي الى هذا القرار... معنى ولفظا وايقاعا، على طريقة القرآن» [4].

ومن الجوانب المبهمة في شأن الفواصل، ما نلحظه من تناسق بين سياق الآية وفاصلتها او بين المعنى الذي ترمي اليه الآية والفاصلة التي تنتهي بها، كأن تجيء الفاصلة مثلا ((انه على كل شيء قدير)) او ((ان الله على كل شيء قدير)) في آيات تتحدث عن قدرة الله واثباتها، نحو قوله تعالى ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩))) (فصلت: ٣٩)، وقوله تعالى ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ (الروم: ٥٠)، فاحياء الأرض الميتة واحياء الموتى يتطلبان قدرة فائقة لا يمكن ان تكون لأحد غير الله ولهذا ختمت الآيتان بما يدل على تلك القدرة واثباتها لله سبحانه وتعالى، ونحو قوله تعالى ((وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧))) (النحل: ٧٧).

فامتلاك الغيب المطلق والتحكم باسراره والتصرف بالساعة وتدبير امرها المهول بزمن اقل من طرفة العين، كل ذلك دليل على الحكمة المطلقة والقدرة المتناهية التي تتناسب تماما مع ما ختمت به

(١) اعجاز القرآن: ٤٠٩.

(٢) النكت في اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن: ٩٧.

(٣) وجوه من الاعجاز الموسيقي في القرآن، د. محي الدين رمضان: ٤٩.

(٤) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٩٥٨ بتصرف.

من قوله ((ان الله على كل شيء قدير)).

وحين تتحدث الآية ((لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) ١٥))) (سبأ: ١٥)، عن النعمة التي انعم الله بها على أهل سبأ في جنوب اليمن والتي تمثلت بالارض الخصبة والماء الوفير والرخاء الدائم والمتاع الجميل، وكانت جناتهم وحدائقهم الممتدة يمينا وشمالا رمزا لذلك الرزق والرغد والنعيم... جاء ختام الآية وفاصلتها مطابقا تماما لما دلت عليه الفاظها وكأنها مفسرة لمعانيها ((بلدة طيبة ورب غفور)) «سماحة في الارض بالنعمة والرخاء، وسماحة في السماء بالعفو والغفران» [١] فما عليهم الا ان يآكلوا ويشكروا، ولكن «فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم» [٢].

ولا يمكن ان يوصف ما وعد الله سبحانه عباده المؤمنين من ((جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر...)) الا بما وصفه الله تعالى بقوله ((ذلك هو الفوز العظيم)) [٣].

ويشترك مع الفواصل التي تنتهي بها الآيات فتوجب حسن افهام المعاني تناسق اخر عجيب يتمثل بـ«المقابلات الدقيقة بين الصور التي ترسمها التعبيرات، والتقابل طريقة من طرق التصوير وطريقة من طرق التلحين والتعبير القرآني يكثر من استخدامها في تنسيق صوره التي يرسمها بالالفاظ على نحو دقيق » [٤]. فهناك مقابلات بين اصحاب اليمين واصحاب الشمال وبين النعيم والعذاب وبين صور سماوية واخرى ارضية، كما في قوله تعالى ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)﴾ (الواقعة: ٢٧- ٤٤)، فلئن كان اصحاب اليمين في نعيم مادي وآخر حسي لا ينتهي، فاصحاب الشمال كذلك ولكن في شقاء دائم وعذاب مستمر. ومن ذلك التقابل بين من كان من المقربين وبين من كان من المكذبين الضالين في السورة نفسها ((فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤))) (٨٨- ٩٤)

(١) في ظلال القرآن: ٥/ ٢٩٠١.

(٢) سبأ: الآية ٦ وتتمتها ((وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل)).

(٣) التوبة: الآية ٧٢.

(٤) التصوير الفني: ٨٢.

فالالفاظ مع المقربين وروح وريحان وجنة نعيم «تقطر رقة ونداوة. وتلقي ظلال الراحة الحلوة والنعيم اللين والانس الكريم» [١] وهي مع المكذبين حميم يصهر البطون لشدة حرارته واصلاء بنار جهنم «وما اسوأه نزلا ومثوى ذلك الحميم الساخن، وما اشده عذابا ذلك الجحيم» [٢].

ويتجلى التناسق بين الصور السماوية والارضية في قوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) (((الحج: ١٨) ففي الآية تقابل بين ستة عناصر ثلاثة سماوية هي (الشمس والقمر والنجوم وثلاثة ارضية هي الجبال والشجر والدواب) وقوله تعالى)) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦))) (الرحمن: ٥- ٦)، قال الزمخشري: « فان قلت: اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت: ان الشمس والقمر سماويان، والنجم [٣] والشجر ارضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين، وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم والشجر» [٤].

وأخيراً وليس آخراً ترتسم المعاني بالألفاظ وتظهر الالوان المتناقضة من خلال التناسق الايقاعي بين ظل اللفظ وظل الموقف في قوله تعالى ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) ٢٤ (تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥))) (القيامة: ٢٢- ٢٥)، فرفعة وسعادة في ازهى لون واجمل صورة تقابلها ذلة وشقاء في امقت لون واكلح صورة، والقرآن الكريم «يعني بهذا الانسجام الموسيقي عناية واضحة لذلك من تأثير كبير على السمع ووقع مؤثر في النفس» [٥].

وهكذا يبدو التصوير الفني والتناسق الايقاعي ليس في آيات الغيب فحسب بل في القرآن كله، فحروفه ترى « في كلماته، وكلماته في جمله، الحانا لغوية رائعة، كأنها لأتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها» [٦]. وكل آية من آياته «بنيان موسيقى قائم بذاته تنبع فيع الموسيقى من داخل الكلمات ومن ورائها ومن بينها بطريقة محيرة لا تدري كيف تتم» [٧]، ولذلك اثر في العرب وقت نزوله تأثرا فعبروا عن تأثيرهم به بأن قالوا: هذا هو السحر المبين،

(١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٤٧٢.

(٢) م. ن: ومنه قوله تعالى (الغاشية: ١- ١٦) ((..... وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نار حامية... وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية)).

(٣) النجم من النبات ما لم يكن له ساق كالبقول، والشجر كان له ساق. ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٣٩٧ ،الصحاح (نجم)، الكشاف: ٤/ ٤٤٣.

(٤) الكشاف: ٤/ ٤٤٤.

(٥) التعبير القرآني: ١٩٥.

(٦) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢١٤.

(٧) القرآن محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود: ١٣.

لانهم وجدوا فيه من الايقاع الموسيقي الناشئ من تخير الالفاظ العذبة ونظمها في نسق خاص يبلغ في الفصاحة ارقى درجاتها، « ولا عجب اذن ان يكون ادنى الالقاب الى القرآن في خيال العرب انه شعر، لانها وجدت في توقيعه هزة لا تجد شيئا منها الا في الشعر ولا عجب ان ترجع الى انفسها، فنقول: ما هو بشعر، لانه كما قال الوليد، ليس له اعاريض الشعر في رجزه ولا قصيده. ثم لا عجب ان ترد هذه الحيرة اخيرا الى انه ضرب من السحر، لانه جمع بين طرفي الاطلاق والتقييد في حد وسط فكان له من النثر جلاله وروعته، ومن الشعر جماله ومتعته »[1].

الخاتمـــة

بحمد الله وحسن توفيقه انجز هذا البحث وفيما يلي اهم النتائج التي توصلت إليها بإيجاز:

١- رأينا فيما درسنا من آيات دالة على الغيب إن الالفاظ موظفة لتأدية المعاني، اي ان المعنى المقصود في كل آية كان يعبر عنه بأفضل لفظ فصيح يدل عليه لياقة، وتناسبا ،وترتيبا، فليوم القيامة واهواله الفاظ دالة عليه، وللنار وسعيرها الفاظ جزلة تدل على معاني الوعيد والزجر والتهديد وانزال العذاب، وللجنة ونعيمها الفاظ رقيقة عذبة تدل على معاني الوعد والبشارة والامل ومنتهى النعيم وغاية السعادة، وان كثيرا من الامور التي تضمنتها آيات الغيب أكدت بألفاظ مختارة وموضوعة بحسب طريقة فنية متقنة كـ (إِنَّ) ولام الابتداء، وضمير الشأن والمصدر، وتكرير اللفظ... الخ، لتثبيت المعاني في النفوس وتقريرها في الافئدة، فضلا عن الأسرار البلاغية واللطائف الأدبية التي لا يتم المعنى المقصود الا بها.

٢- ان ترتيب الالفاظ في كثير من هذه الآيات ورصف كلماتها وتقديم بعضها على بعض لمقاصد شريفة ومعان جليلة واغراض نبيلة تدل على (فخامة التعبير القرآني وعلوه وان مثل هذا النظم لا يمكن ان يكون في طوق بشر فسبحان الله رب العالمين).

٣- ان الايجاز في هذه الآيات إيضاح للمعاني، بأقل ما يمكن من الالفاظ، وان الآيات الموجزة بما تدل عليه من معان كثيرة غاية في البلاغة وصلت الى درجة الاعجاز.

٤- وقد ظهر لنا من خلال تحليلنا لآيات الغيب التصوير الفني، والتناسق الايقاعي في القرآن كله، فحروفه ترى ((في كلماته وكلماته في جملة، ألحاناً لغوية رائعة ،كأنها لإتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها)). وما اكثر الالفاظ الموحية بجرسها عن معناها والمصورة بحروفها لما تدل عليه، كما ظهر ان كل آية من آياته ((بنيان موسيقي قائم بذاته تنبع فيه الموسيقى من داخل الكلمات ومن ورائها ومن بينها بطريقة محيرة لا تدري كيف تتم)).

وهذا لعمري هو الاعجاز

(١) النبأ العظيم: محمد عبدالله دراز: ١٠٣.

المصادر والمراجع
بعد القرآن الكريم.

١. الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١ ه)، تح: أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني ،القاهرة ١٩٦٧.

٢. أحسن الحديث، البوطي، د. محمد سعيد رمضان، منشورات المكتب الاسلامي م١٩٦٩.

٣. اساس البلاغة، الزمخشري ،جارالله، بيروت ١٩٦٥ م.

٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، مصطفى صادق،ط٩ ،دار الكتاب العربي، بيروت لبنان،١٩٧٣م.

٥. إعراب ٣٠ سورة من القرآن ،إبن خالويه، ت ٣٧٠ه ،القاهرة،١٩٤١م.

٦. إعراب القرآن، النحاس

٧. البحر المحيط ،الاندلسي، ابو حيان، ت ٧٥٤ه،مطابع النصر الحديثة، السعودية الرياض.

٨. بديع القرآن، المصري، ابن ابي الاصبع، تح: حفني شرف، مكتبة نهضة مصر،١٩٥٧م.

٩. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدرالدين، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم،ط١، ١٩٥٨م.

١٠. البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، أبو الحسين اسحاق، تح: احمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني ،بغداد، ١٩٦٧.

١١. بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ت٣٨٨ ه، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف بمصر.

١٢. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح: السيد احمد صقر، دار التراث، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٣.

١٣. تاج العروس، الزبيدي، محمد مرتضى، ت ١٢٠٥ه، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ه.

١٤. التبيان المطلع على إعجاز القرآن، الزملكاني، ت ٦٥١ه،تح: احمد مطلوب وخديجة الحديثي، ط١، بغداد ١٩٦٤م.

١٥. التصوير الفني، سيد قطب، دار المعارف مصر، ١٩٥٩م.

١٦. التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، بغداد، ١٩٨٧م.

١٧. تفسير ابي السعود، أبو السعود، محمد بن محمد، ت ٩٥١ه، مطبعة مصر، دت.

١٨. تفسير جزء تبارك، المغربي، دار مطابع الشعب، القاهرة، دت.

١٩. تفسير جزء عمَّ، محمد عبده ،ط٥، دار مطابع الشعب، القاهرة، دت.

٢٠. تفسير الخازن، البغدادي الصوفي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، دار الكتب العربية مصر.

٢١. تفسير القران العظيم، ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت٧٧٤ه، بيروت، دت.

٢٢. التفسير القيم، الامام ابن الجوزية، التراث العربي بيروت.

٢٣. التفسير الكبير، الفخر الرازي، ت ٦٠٦٥ه،ط٢،

طهران.
٢٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ت٣١٠ه، تح: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
٢٥. جامع الدروس العربية، الغلاييني، الشيخ مصطفى،ط١٥، بيروت ١٩٨١م.
٢٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٦٦م.
٢٧. الخصائص، ابن جنّي، ابو الفتح عثمان، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.
٢٨. درّة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الاسكافي، ط١، دار الافاق الجديد، بيروت ،١٩٧٣م.
٢٩. دلائل الاعجاز، الجرجاني، عبد القاهر ،تح: محمد رضوان الداية ،ط٢، مكتبة سعد الدين، دمشق ١٩٨٧م.
٣٠. دور الكلمة في اللغة، ستيفن اولمان، ترجمة د. كمال بشر، المطبعة العثمانية،
٣١. روح المعاني، الالوسي، ت ١٢٧٠ه، ادارة الطباعة المنيرية مصر.
٣٢. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ت٤٦٤ه، تح: عبد المتعال الصعيدي، القاهرة ١٣٧٢ه.
٣٣. شرح ابن عقيل، بهاء الدين بن عقيل، ت٧٦٩ه، تح: محمد محي الدين، ط٤، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٦٤م.
٣٤. شعر الراعي النميري، دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي ود. هلال ناجي، مطبعة المجمع العلمي، ١٩٨٠م.
٣٥. الصحاح، الجوهري، ت٣٩٣ ه، تح: احمد عبد الغفور العطار، القاهرة، ١٩٥٦م.
٣٦. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل، ت ٢٥٦ه، دار احياء التراث العربي بيروت.
٣٧. صفوة التفاسير، الصابوني، محمد علي، ط١، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.
٣٨. الصناعتين، ابو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٢م.
٣٩. الطراز، العلوي، يحيى بن حمزة، مطبعة المقتطف بمصر، ١٩١٤م.
٤٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط١١، دار الشروق بيروت، ١٩٨٥.
٤١. القرآن محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٠م.
٤٢. الكتاب، سيبويه، ت١٨٠ ه، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب ،بيروت.
٤٣. الكشّاف، الزمخشري، الامام جار الله، محمود بن عمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٤٤. لسان العرب، ابن منظور، ت٧١١ه، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٠٠ه.
٤٥. المثل السائر، ابن الاثير، ضياء الدين، ت٦٣٧ه، تح: احمد الحوفي، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٩م.
٤٦. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جنّي، تح: علي النجدي، القاهرة، ١٣٨٦ه.
٤٧. المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ت٩١١ ه، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم وآخرون، المكتبة العصرية،

بيروت، ١٩٨٦م.
٤٨. مشكل اعراب القرآن، مكي بن ابي طالب، ت٤٣٧ه، تح: د. حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٧٥م.
٤٩. معاني الابنية في العربية، د. فاضل السامرائي، ط١، الكويت، ١٩٨١م.
٥٠. معاني القرآن، الفراء، ت٢٠٧ه، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م.
٥١. معاني النحو، د. فاضل السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٩م.
٥٢. معجم القراءات القرآنية، د. عبد العال سالم مكرم ود. احمد مختار عمر، ط٢، الكويت، ١٩٨٨م.
٥٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي.
٥٤. مغني اللبيب، ابن هشام، ت ٧٦١ه، تح: مازن المبارك، ط٣، دار الفكر، ١٩٧٢م.
٥٥. مفتاح العلوم، السكاكي، ت ٦٢٦ه، تح: اكرم عثمان يوسف، مطبعة الرسالة، ١٩٨٢م.
٥٦. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ت٥٠٢، تح: محمد سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٦١م.
٥٧. مقاييس اللغة، ابن فارس، ت ٣٩٥ ه، تح: عبد السلام هارةن، دار الفكر.
٥٨. من اسرار البلاغة في القرآن، شيخون، محمود السيد، الازهر القاهرة، دت.
٥٩. من بلاغة القران، بدوي، احمد احمد، ط٣، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٠م.
٦٠. النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، مطبعة السعادة، ١٩٦٠ م
٦١. النكت في أعجاز القران، الرماني، (ت٣٨٦ ه) تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف بمصر.
٦٢. وجوه من الاعجاز الموسيقي في القران، د. رمضان، محيي الدين، ط١ عمان الاردن، دار الفرقان١٩٨٢